سَرَادِيْبُ العَتْمَةِ

مجدي عبد النَّبي

obeikandl.com

اسم الكتاب: سَرَادِيْبُ العَتْمَة

المـــــؤلِّف: مجدي عبد النَّبي

الناشـــــر: بورصة الكتب للنَّشر والتَّوزيع

٢٥ شارع شريف- القاهرة

Email: adel.metwaly69@yahoo.com

٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣ - ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

رقم الإيداع : ٢٠١٥/٢٥٥٨٣

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٧٩٧-٠٢٢-٨

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنيَّة- دار الكتب المصريَّة

عبد النَّبي، مجدي.

سراديب العتمة: قصص قصيرة/ مجدي عبد النَّبي- ط١.- القاهرة: بورصة الكتب للنَّشر والتَّوزيع، ٢٠١٥.

٩٦ص؛ ٢٠سم.

تدمك: ٨- ٠٢٢-٧٩٧-٩٧٧-٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة.

أ- العنوان.

٨١٣.٠١

---

obeikandl.com

سَرَادِيبُ العَتْمَةِ

مجدِي عَبد النَّبي

بورصة الكتب

الطَّبعة الأوْلى

٢٠١٦

oberkandl.com

obeikandl.com

إهداء

إلى الشَّعب المصري العظيم... البطل...

صاحب ثورة ١٩٥٢

و٢٥ يناير ٢٠١١

و٣٠ يونيو ٢٠١٣

تحيا مصر...

تحيا مصر...

تحيا مصر.....

مجدي عبد النَّبي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
١ – سراديب العتمة	٧
٢- قنص دوائر الميدان	٣٧
٣- الليل الرَّابض	٤٩
٤- الضّفَّة الأخرى	٥٥
٥- تعاريج البحر	٦٧
٦- الطَّائرة الورقيَّة	٧٥
٧- التَّرويع	٨٣
بيوجرافي	٩١

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

1

سراديب العتمة

obeikandl.com

مخاض اللحظة تكاد تنفجر؛ تتبعثر أشلاء، نثارات الضّوء الباهت؛ المخبَّأ في الحجرات المترعَة تبيت في جوف العتمة. تتجمَّع الأشباح في الأركان، تهمهم... تتنفس أصداء الكلمات العليا... تصغي للصّوت الجاف... غليظة هي الحروف. دومًا الوجوه الصّلفة موجعة النبرات، حمم تلقى للعيون... تتلقاها بشغف وطاعة دون أن تنبس بحرف خشن، ورذاذ كسكّين ارتشق في القلب الخرب، أحجار تلقى من الأفواه الغليظة... والوجوه الجامدة، بسمع، ولسان مبتور تتلقاها الجماجم المتحجِّرة فوق الأعناق، صم بكم، وعيون تحجَّرت باستغباء، ينتهي وابل الأحجار من الرّشق العنيف، كلٌّ يعلم مهمّته؛ سيلتقي كلّ فرد بمجموعة من الصّمِّ يلقى بدوره وابلاً من الرّذاذ يؤذي بها بعضًا من تنظيمات الخبء في حجرات التيه المهجورة، كالفراش حول غبار الضّوء، تنتشر في أروقة متحجِّرة من جسد الجهاز السِّرِّي يرفرفون. تحيا الخلايا النائمة تتدثر بشرايين الجفاء، والدّور المنوط بها، تنام أخرى في تشرنق خليَّة جديدة في بيات إلى حين!! خطوط خلف خطوط، لا أحد يلج لحجرة السّرّ الأعظم، لا يفكّ الشّفرات إلا

صاحب السّراج، يرسم ملامح التيه، تنداح داخل توابيت العقول، لا يعلم كلّ فرد إلا دوره في التوقيت المحدَّد، يخرج إليهم ذو اللحية الصَّهباء، يشير بيديه يتلقفون الأصابع يقبلونها بوَلَهٍ، يرشدهم نحو الدّرب، لا يجرؤ أحدٌ أن يفكّر في الكلمات؛ فليس له إلا طاعة مستنفرة؛ يهرع نحو التيه، يفنى في دهاليزه كشمعة في ليل من نسيج العتمة المتراكمة، فلا يرى أحدٌ أحدًا. يلج الرَّجل في الحجرة المقدَّسة يتمتم بتراتيل لا يفكّ شفرتها سوى القلة من ذوي الحظوة، لا يطؤها سوى ذو المكانة المتكهّنة، أربعة من الرِّجال أصحاب القلوب الحطباء، نبتت أشواك البيد القاحلة في صدور غادرتها مرافئ الدّفء، ارتحلت مراسي الابتسامات فلا مأرب إلا للقحط وجفاف النبض، وأحراش الخفق، خشنة جامدة المقل في جحور العينين، وزَّع نظراته عليهم، كانوا مترَعين بلحظ الغرور، مدَّ يده، قبَّلوها كعادتهم بانبطاحٍ تعوَّدوا عليه، يرمقهم، أقسموا على كتاب الله من جديد، تشابكت أكفهم اليمنى، بايعوه، اليد اليسرى أمسكت خارطة المحروسة. مزقوا أوديتها... محوا الخطوط الحمراء في الجهات الأربع

غاضت أقبيتها، باتت تلوح في الأفق غيمة الكلمات المتآكلة الحروف، تنبت أسفلها سنابك نثارات الضّوء المنطفئ، تتسلل عبر كوَّة سواد خلف اسوداد. خرجوا من الحجرة بالمعاول والسّيوف والحطب، رافعين الرَّايات مكبّرين مهللين "الله أكبر ولله الحمد".

obeikandl.com

انقباض الرِّيح

انفجرت عبوَّة من الغاز الخانق في وجه الرَّجل، ترنح... أمسكه الفتيان من الشّباب الثائر... كانت اليد اليمنى ترفع لافتة مكتوب عليها "كفاية"، صوت إسحاق من قلب الميدان ينادي باسمي، يخفق القلب، لم أستطع أن أستديرَ، سَقطَ الشّبَّان من حولي على الأرض، بعضهم بطلقٍ في الرَّأس، والآخر بالخرطوش... أقعى على الأرض متكومًا، أحدهم صوب جسده كدرع يستقبل وابلاً من الشّظايا؛ ليحميني... ويفتديني بدمه الطاهر.

سقطنا جميعًا على الأرض، في مدخل إحدى العمائر. كان ممرّها تحوَّل لمستشفى مملوء بالجرحى والأطبَّاء؛ مضمَّخة أيديهم بالدِّماء، يتوقف الخفق بين أناملهم. تستشري رائحة ذكيَّة، جلب أحدهم جهاز التنفس، أسعفني، فرَّ شيخ ذو لحية قصيرة بيضاء من بين أيديهم الفتيَّة... بحماس انتشله من جذوة صدورهم.... بصوت قوي.

- انتظر يا حاج...

حاولتُ أن ألهثَ خلفه، لم أستطع. تملأ الشَّوارع جنود الأمن المركزي... تلاحمت أحراش البشر، تمتمتُ في نفسي، خرجتُ من أجل إنجاح المسيرة، كان النزوح من أوَّل اشتعال اللحظة.

***

عن الفصيل التنظيمي انشق. لم يعد يهاب الأسرار والعسس الليلي، حاربوه، نكَّلوا به، كان يحلق كطير بأجنحة الحريَّة، فرَّ من بين قبضة أيديهم وحرَّر عقله من عبوديَّة خرافاتهم... لن يعود ثانية للكهنة، لاعتقال أفكاره... فمذاق التحليق ينتشي الطائر في سماء الزَّهو والارتحال؛ لكلّ ضفاف الاختلاف في الرَّأي، لن أعود للصّمّ والخرس، ضحك وهو يعبر قمَّة النشوى.

- أنا حرٌّ طليق.

التفلت نحو صوت جارف يقتحم أذنيه.

- حاسب يا حاج... حاسب.

لم يع الصّوت من أين أتى. كان الدّخان كثيفًا حوله. صدمته الهرَّاوة على رأسه، فسقط، تذكَّر يوسف عليه السَّلام حين

ألقي في هوَّة البئر، ظلَّ يسقط... حتى طُرحَ في الماء. كان باردًا الظلام... انهالوا ضربًا مبرحًا على جسده؛ شعر بأوَّل ضربه؛ هل كانت مؤلمة سقطة يوسف في الجب... تسري نشوى تختلط بالرّكل؛ امتطى صهوة الانتصار... اخترقت أذنيه، عبرت الحروف دهاليز الزَّمن...

- إخوتي لا تتركوني.

خرجت من أعماقي، تناجي يوسف، تهدهد وحدته الموحشة، اخترقت مسامعه حماسات الشَّباب، أمسكوا يديه "ليتهم تلقفوا يدا يوسف التي ينبعث منها نور... يقولون مازال البئر مضيئًا حتى اليوم"، صاحوا:

- سلميَّة... سلميَّة.

- الشَّعب يريد إسقاط النظام.

عاد للتحليق من جديد في سماء الحريَّة... تنسَّم قطرات تفوح من جنبات الشَّوارع؛ تختلط بالدّخان ولون الدِّماء المتخثرة، شقت نثارات النور عينيه، فعاد يغوص في لحظات من الانتشاء الممزوجة بالألم. فرَّ الجنود إثر هجوم ضارٍ من الشَّوارع للشَّباب، عادوا به لمدخل العمارة، كانوا يحملونه،

ألم اخترق يديه، وبعض أجزاء متفرِّقة من جسده النحيل إثر الرَّكل العنيف، تناهت إلى مسامعي أخبار مقتل الشّيخ "عفت" إثر طلق ناري من الخلف. استسلمت لأيدٍ تداوي السَّاق وجنبي الأيسر، لا أشعر بوجود بعض الأصابع من النزف، وإثر تحطيم العظام... صرختْ طبيبة.

ردَّ آخر.

- أحضر لي الشَّاش كي نحضر الجبس بعد هذه الحقنة...

وخزتني... شعرت بالتحليق؛ كأني طرت لمجرَّة أخرى... أحلق... أحلق بجناحين قويين.

مَن قتل الشّيخ "عفت"؟ سؤال؟ حطم جمجمتي؟

رغم انكسار السَّاق... أرى أناسًا ووجوه لم يراهم أحدٌ من قبل، تولد ألوان تنبثق تشقّ النني، تبيت في الأحداق، يغلفني إحساس لم يولد من قبل، تذكرت لحظة السُّجود في مسجد المدينة... تلفني نثارات نورانيَّة تغمرني، تهمس لي تبارك حريَّتي بعد عبوديَّة السَّنوات القاحلة، بعد اعتقال مزَّق شبابي؛ هتك عنفوان الصِّبى... اغتال المرح المارق من المقلتين.

تذكَّرت الشّيخ طاهر، كان يقف أمام المسجد، لم يدخل. قتلت ساعات النهار، ولفحَ الحرّ العقول، تقدَّمتُ نحوه.

- لماذا لم تدخل مسجد رسول الله؟! ألا تشتاق للحبيب وتقترب خطوات.

نظرَ إليَّ بعينين دامعتين، وهمسَ بعد انتهاء بعض الأذكار التي لم أسمعها من شدَّة خفوت الصّوت.

- لم يأذن لي الرَّسول حتى أقتحم داره.

غلفتني الجملة، لم أصدِّق حروفها؛ تمعَّنتُ فيها... غصتُ في بحار أفكار لم أصل إليها من قبل.

أضاف:

- هل استأذنت؟!

رشقتني الجملة، جلستُ بعيدًا عنه أراقبه بشغف، حتى ابتسمت قسمات وجهه؛ ودلف داخل المسجد النوراني... يصلي. أصبحنا صديقين... طلبتُ منه كثيرًا حضور جلساته الصّوفيَّة. كان يدعوني لقراءة كتاب في كلِّ خلوة؛ أصفي بها القلب. كان يعلم حكايتي مع التنظيم، وكيف انشققت. ويدعو

لي بالثبات واحتمال العنت. أفقت من خَدَرِ هذه اللحظات على عنف الأيدي التي انهالت على العظام والجسد الواهن.

- تحمَّل يا حاج الجبس... معذرة.

أضاف آخر:

- هل بيتك بعيد.

صفعتني الجملة... تذكَّرت جورج والرِّفاق، في ميدان التحرير... الآن أذهب إليهم.

- أريد الذهاب للتحرير.

نظروا لبعضهم... استمرُّوا في ربط قدمي... وآخرين... يتعاملون مع باقي الجسد، أخذتُ رشفة ماءٍ مع حبَّة ملوّنة... من الدَّواء... بعد لحظات ذهبت لمجرَّة جديدة.

obeikandl.com

هتك الأسرار

ذهبتُ إلى مكتب اللواء حمزة. كان يجلس الشّيخ طاهر... ينتظرني. ابتسموا حين دلفت. الأوسمة والنياشين تعانق الحوائط. كان الرَّجل متواضعًا... يحبّني دون سبب. رشق السُّؤال؟ في رأسي منذ أنْ علمت بأنه يريدني. أغلق الباب... جلسنا عن قرب... همسَ الرَّجُل... وكان طاهر يربت على يدي.

- لا تواصل في القضيَّة...!

نظرت بحيرة أشدّ، تطلّ من خلف النظارة...

- سيقولون خائن أو جبان.

ابتسم أوَّلاً.

- سيقولون الشّيء نفسه في كلّ الأحوال... لا تقلق.

كشَّر ثانية:

- يا رجل يا طيّب... أتدافع عن مزوِّرين؟

obeikandl.com

رأسي تدور مع الكلمات، أزدادَ تعجُّبًا، شعرتُ أنني غبي لأوَّل مرَّة. أخرجَ اللواء حمزة دوسيهًا مملوءًا بالأوراق والشّرائط والسِّيديهات... همس...

- لا تنزعج بالفعل زوروا الانتخابات، وفاز بها الرّجل المدعو مصطفى الحسينى... كما تعلم.

ردَّ طاهر:

- هذا رجلهم الحقيقي بالطبع، وهذا ردّ الرَّجل الكبير عليك ومحاولة توريطك، يظنّ أنه لن يفتح سرداب الأسرار يومًا...

أمسكت الأدلة الدَّامغة بعد أن أدخلني اللواء حجرة لا يطؤها أحد سواه... أغلق الباب... بدأت أفكّ طلاسم الأسرار، كان السُّؤال صادمًا؟

- كيف لم أكتشف أنهم مزوّرون؟!

كان طاهر واللواء حمزة أصحاب مدرسة صوفيَّة نقيَّة... يحبونني ويعلمون كم عانيت في السَّنوات الأخيرة بعد أن انشققت فارًّا من سرداب حجرات الكهنة. خرجتُ من أخدود عتيق بصعوبة. طعنني البعض... صدمتني كلماتهم الجامدة ووجوههم الصَّخريَّة. خواء في الصُّدور... ارتحلت كلّ ينابيع

الجمال؛ وعشَّشت الفظاظة بقسوتها الممجوجة. كم بتُّ ليالي... أستجمع ما تبقى من قوَّة... أقاوم شلالات الفجاجة من البعض. تربطني صداقة ومحبَّة مع بعضهم. كانوا يخفون وطأة الأيَّام المرَّة في الحلق. أتذكَّر هضاب الكلمات التي خرجت من الرَّجل الفظ. صاحب السَّطوة... يحرّك تشكيلات القيادات يصنفها باستثناء شعبة القطبيين. .يبث أوامره فينصاع الكلّ. صدمني في اللقاء الذي جمعنا بوابل أفكاره... تناثرت الحروف في وجهي. عارضته في الرَّأي... انفجرت الشَّظايا في الحجرة... أعقبها توابع حتى سحبتُ قدمي بعد طردي من سردابه الخرب. صعدت عاقدًا العزم على التحليق؛ الفارّ من عبوديَّة الأسر. لم يصدِّق بعض الأحبَّة في التنظيم أنني خالفته في الرَّأي. كيف وأنا عشت سنوات طيعة؟! كان القليل يعلم بأن شيئًا يولد في الأعماق الغارقة في النفس. تبيت في حجرة العقل... يعارض كثيرًا من أفكارهم. كانت ابتسامة تولد في النفس تنبت... يشتدّ عودها يومًا بعد يوم، حتى أصبحت أيكًا مغرِّدة. الرَّجل الصّلف أرادَ أن يوجعني بكلماته... لم يستطع؛ قويت شوكتي. سقطت كلُّ المعارك على أغصان تشابكت

واشتدت. عدتُ أتنفس من جديد. اقتحم المكتب طاهر بهدوء، كنتُ استمعتُ وقرأتُ كلَّ الدَّلائل.

- إنهم حقًّا مزوّرون... كم كنت ساذجًا.

شعرتُ بارتياح حين تركتهم، بعد حين لم يتبقَّ في ذهني شيء، من لقاء الرَّجل الفظِّ الصّلف، عالجه اللواء حمزة وطاهر اليوم... ينقذونني من كارثه جديدة. حقًّا... إنَّهم يعيشون في بحر النّور يتنفَّسون بلا شوائب تغلف القلب؛ صفاء يعلوه نقاء مضمَّخ برائحة مؤثرة... مراتب ترتقي تعلوها سحب ناضرة، تغسل أدران القلب؛ فلا مكان إلا للحبِّ والطهر، أمسكت الرِّيموت أتابع الأحداث من التلفاز والثورة التي تمخَّضت. زارني إسحاق ومصطفى علوي ومحمود يوسف، وآخرون يؤكّدون أنني بخير... وسنجتمع برائحة المسك حول الميدان. كان يبعد أمتارًا حين أصبت، الأحبَّاء من التنظيم اطمئنوا عليّ، أحدهم تنبَّأ...

- كبيرنا سيصل لمنصب خطير.

ابتسمت.

- كبيركم أنتم...

أضاف بجديَّة.

- يتفاوضون الآن مع عدَّة جهات، احترس منهم، لن يتركوك إذا...

هززت رأسي.

- لا تخف... الطائر لن يسقط من عليائه.

همُّوا بالانصراف.

- احترس من الرَّجل الذي عارضته، يضمر لك شرًّا.

لم أهتز... أنا رجل قانون لا يهاب زئير الليث... هسيس الآخرين.

***

تمرُّ السَّاعات مرحة، يشتد أحيانًا الألم الصَّادر من الجبس. أشعر أحيانًا بالتحسُّن... أيَّام تفصلني عن النزوح للميدان. حصدت صدور الشَّباب وابلاً من الرّصاص... سقط الكثير من الشُّهداء، تتغيَّر كلّ ساعة الأحداث والشّعارات. انتظر جمعة الغضب الحقيقية وليست المتفبركة؛ بولهٍ شديدٍ.

- هل يرحل النظام ويسقط في براثن أيديهم؟

- أخشى رحيله ويتبدَّل بأنكى وأمرّ!

oberkanal.com

اقتحمتْ بعضُ الأفكار عقلي...

- هل يحلّ التنظيم موضع النظام.

شعرتُ بهزَّة عنيفة تجتاح الجسد. تذكَّرت ملفًّا مهمًّا... علمتُ عنه بعضًا من الأسرار التي لا يطلع عليها أحد إلا النَّادر والقليل جدًّا من الرِّجال أصحاب الحظوة والمكانة الرَّفيعة من رجل السّراج.

- هل يرشدهم لدرب السُّلطان؟

لطمني السُّؤال.

- التنظيم السِّرِّي الخاص بشعبة ٥٦، لا أعلم عنه الكثير. والرِّجال الجُدد بعد الهمذاني تولوا مهامًّا مغايرة. عادوا بأدراج السِّتينيَّات. الحيرة تطرق بعنف حجرات الرَّأس. أتكئ على عصاي. أنظر من الشّرفة. أستنشق بعضَ الهواء، يملأ الصُّدر بشعور جديد.

السِّرداب

خرجوا من السَّراديب في هزيع العتمة، يمسك بعضهم بعضًا... تتشابك الأيدي... ينفضون غبار سنوات الخبء والقحط. يهللون ثلاثة أيَّام. عصفت بالرِّجال والشَّباب والأطفال والعجائز. الدّخان يلبِّد المحروسة... المولوتوف في جنبات الشّوارع. انتفاضة أربع محافظات كفيل باضطرام فحيح.

النيران في كلِّ الجنبات. لم تزل تترى الوفود... تخرج من الأوكار السُّفليَّة. تستقبل نورًا يزعج العينين. أكاد أسمع أحدهم.

- ودَّعنا العتمة والتيه.

- لكني تعوَّدت على همس الليل.

ازدردت ريقي... شردتُ... غصتُ في سنوات اعتقال جمجمتي؛ ونسف أفكاري... عند موطئ فمه الذي يأمر فيطاع. لم أصدِّق أنني الشَّخص نفسه القابع في قيعان التيه المنزوية سنوات عمري. أتسرَّب... أنفذ... أهجع... أسافر...

أخالسهم... أقرأ كتبًا مغايرة... تنتشي العروق... أوبِّخ نفسي. الإخلاص عهد... الالتزام ميثاق، لن أفكّ عقاله. أهيم في تخوم السَّنوات المرتحلة... اتنقل من شعبة ومن مرتبة لأخرى... يرضى عني رجل السِّرداب؛ يهزّ الرَّأس رجل السِّراج... تمرح نفسي، وأنا أهبط داخل الأخدود العظيم... تتغيَّر مشاعري... لا أستطيع وضعها... أدلف الدِّهليز... أتيمن دهليزًا... آخر. ألج في عمق لم يصل إليه القليل... أصغي لبعض الهمهمات... تغتال الكلمات أذني وأنا مستمرٌّ في الولوج.

- تنظيم سريٌّ جديد مهمّته.....؟!!

يسكت المتحدِّث حين دلفت لصومعته في أقصى المكان. الجدران لا تنفلت منها الحروف... لا تَخترق ولاتُخترَق... أقبع وحدي، أرفّ حول شمعة مشنوقة، تغتال عيناي... أشعر باكتئاب حطَّ فوق الصَّدر، أذكر الله، وأستغفر... تطارد الوسوسة خاطرة سقطت في براثن صراعات الشّرود.

- أنا الآن في قلب السِّرداب.

لم أتخيَّل شعوري... أتنفس عتمة الظلام الحالك... الثقة جسر لا يعرفه إلا مَن ركب صهوته... المقرَّبون.

- هل؟ اقتربتُ بما يكفي؟!!

لا أدري متى يدلف أحد؛ يغتال سطوة السُّكوت المهيمن على المكان.

- ماذا ينتظرني.

تعوّدتُ الانتظار لكن في الحجرات الأخرى. لها رهبة هذه الجدران... أشعر أنني في لا مكان. توقف الزَّمن عن الخفق. برودة تجتاح جسدي الجامد. أذكر الله... تفرُّ وحشة تفتك بي. تنسلّ ألفة تؤنسني بعد الذكر. لم أزل أغوص في بئر السَّنوات الحرَّة وساعات السَّراديب. اليوم خرجوا... سبقتهم بسنوات نحو النور... حطمت أكبال تلف المعصمين لجام العقل.

ينطلق... ينداح في الشَّمس... لم أزل أراهم مكبَّلين... أشاهد التلفاز... البعض يظهر والغرور يغلفه؛ الأكبال لا يراها غيري.

- ماذا هم فاعلون؟

أفقتُ من الخدر... توضَّأتُ من جداول النور، احتدمَ الميدان، اكتظ، ملأوا الشَّوارع والميادين، هززتُ رأسي.

- لك الله يا محروسة.

- نعم الرَّجل صاحب السِّراج لازال يعيش في معبد الكهنة، يظنّ أنه لن يفتح سرداب الأسرار يومًا...

***

لم يزل يؤلمني الجسدُ الواهِن، تشمَّمتُ عبقَ زمان انسلَّ من الصّبا. اقتحمَ الخياشيم، مترعة هي الرَّائحة... دلفت نحو مسجد... ((المعز)) صليت، سجدت لله شاكرًا على نعمة الحريَّة والشِّفاء من المحنة. لمحتْ عيني رجلاً لا يقوى أن يتحرَّك، هممتُ إليه وأنا أبتسم بداخلي.

- (عظام التربة تساند عظامًا أخرى).

أمسكتُ يديه برفق... ربت على كتفيه... رأيتُ هذا الوجه الذي حفره الزَّمن، تخطّ أودية التَّقوى ركام التجاعيد، بهمس:

- أشكرك يا فؤاد.

صدمتني المفاجأة، هل؟ يعرفني الرَّجل ولا أعرفه؟! ابتسمتُ على حياء. اغترفَ من ابتسامتي بسمة عريضة.

- الزَّمن أنساك... كان الله في العون.

لم أزل أصطك في حبائل الحيرة والخجل.

- مَن يكون الرَّجل بالضَّبط؟!

عالج شعوري بدماثة ولطف.

- هل مازلت حافظًا للقرآن أم نسيت محفظك الأوَّل الشّيخ مرتضى، ومحفظ الشّيخ طاهر، واللواء حمزة، هبطت نسائم من زمن بعيد، أتت محمّلة عروشًا نورانيَّة مباركة... زمن تجلٍّ وألق.

- أين أنت يا مولانا...؟؟؟ علني عثرت على كنز...

سجدتُ لله شاكرًا... أخذ يبتسم أكثر فأكثر.

- لم تتغيّر منذ صغرك... ونبوأتي تحققت... أصبحت واحدًا مهمًّا في المجتمع.

الحسرة تباغت رأسي وتشتد.

- أي مجتمع يا شيخنا؟ كلّ شيء لا طعم ولا شكل له.

- إذًا لنا جلسة خاصَّة، كما كنت تفعل في الماضي... هل تتذكَّر.

- نعم... يا مولانا بالطَّبع.

***

أوقظني رنين الموبايل، أحد الأصدقاء يباغتني بموعد مع رجل التنظيم.

- لقد تركت الكلّ... ماذا يريدون مني؟ ألست الآن عدوّهم؟؟؟ وانطوت صفحتي... لن أذهب...

علمت في الأيَّام الأخيرة كثيرًا من المعلومات الخطيرة... هناك رجلان منهم فقط، الأوَّل يُدْعَى المهم أو "الكبير"... والثاني الرَّجل الذئب... يتصلون بالدَّولة راعية الشر، يمهِّدون الدَّربَ لاعتلائهم عرش السّلطنة.

- هل يريدني؟ أم يهدّدني؟!

أتى صديق يشرح لي سوء العواقب... إذا لم تتم المقابلة.

- ما أحوجني للشّيخ مرتضى، أفرغ عنده كلَّ همومي... سيرشدني أي طريق أسلك.

***

ميدان التحرير مكتظ، احتشد الشّيوخ والشّباب... قال أحدهم:

- تخلف أصحاب الذقون الثلاثة أيَّام الأولى.

شعرت بالإحراج، لكني كنتُ مصابًا... لم يقصدني بالكلمات... لكن شظايا الكلمة أوجعتني، يفترشون الأسفلت...

يمرحون... يهللون... يحصدون بصدورهم قنابل الغاز... والخرطوش، يرد أحدهم بزجاجة "ملوتوف". يلف الكوفيَّة حول فمه... يخترق الغاز مسام الخياشيم... يسقطون صرعى... أهرع نحو أحدهم كي أسانده... أصل لإحدى الطبيبات... تعالج آخر إثر خرطوش قذف عينه.

تصرخ.

- الإسعاف بسرعة، وعلى المستشفى.

تمسك كتفي بحنو... ألتفت... هي ابنتي... كانت في مستشفى الميدان... تسللت بعد شفائي... تركته حين علمت بإصابتي... كانت تختفي كلّ يوم ساعات... أعلم أنها هنا... أطمئن عليها، وأشعر بالزَّهو والفخر يعلو وجنتي.

- أين والدتك؟!

أشارت نحو مؤخّرة المستشفى... كانت تسعف أحد الشَّباب المصابين... إذا كان للميدان أم فهي، لقبوها... بـ"أم الميدان". لم تتركهم طوال مرضى... ابتسمت.

- الأسرة كلها في الميدان.

همست زوجتي في أذني.

- الرَّجل (إيَّاه) طلبك مع مخصوص ثانية.

ركد فوق القلب ركام من الضِّيق؛ والهمّ الذي هطل متواترًا... تغيَّرت ملامحي مرَّة أخرى.

***

انصرمت شهور... تفرّ بعضها من بعض... عدت للشّيخ مرتضى، أبث همومي... أعلقها على حوائط منزله... الذي لم تتغيير ملامحه كثيرًا... صور للنحَّاس باشا... وسعد زغلول... وعبد النَّاصر... والشّيخ محمَّد عبده... والشّيخ الباقوري... كان يناقشني في قراري بالانفصال عنهم.

- لن أشارك ثانية في ليالي العتمة... لن أحبس جمجمتي... أشنقها بالأفكار الميّتة، لن أكون معدومًا بين يدي "المغسِّل" يقلبه كيف يشاء... تحرّرت... انطلقت للكون الفسيح... لازلت أرفرف على أغصان الأيك.

باغتني الشّيخ مرتضى:

- ليس الحلّ في الهروب... وأنت رجل شجاع.

عبرت نظراتي ضفة القلق المتراكم منذ شهور... صمت... أنتظر أن يدفعني، ويبث في عروقي حياة، كما كان يفعل... أرتشف من كوب الشَّاي عدَّة رشفات، لعله ينتظر قراري.

- سأواجهه إذًا وليكن ما يكون.

رأيتُ نواجزه التي غابت مع الزَّمان الفائت... ربت على كتفي... وهزَّ رأسه مشجِّعًا.

***

obeikandl.com

التِّريَاق

يمتلئ صدري بأنفاس حبيسة، تمرّ الدَّقائق... تنفلت من أسر الزَّمن... أتذكَّر أيَّام العتمة... خرجوا من السَّراديب... أعلم أنَّ البعضَ سيظلّ... كـ"خلايا نائمة" في بيات شتوي إلى حين... خطت الثورة؛ شهورًا كثيرة... ملامح اتضحت... وأخرى خفتت... صدمني بالسُّؤال...

- أنت خارج التنظيم، لكن احذر...

الصَّمت يغلف المكان، لم ينبس صديقي محمود بكلمة... اصطحبني في سيَّارته، وأخذ يتحدَّث طوال الطريق عن عقلي الرَّشيد، والسَّيطرة المتقنة على أعصابي... كان يدرك أن الكيل طفح... باغتني بصوت مرتفع.

-سنرشِّح اثنين... لا يهمّ رأيك... فقط إذا تفوَّهت بكلمة... ستخسر كثيرًا يا فؤاد.

دارَ عقلي حول مدار التَّنظيم، رشقت صورة الرَّجل الضَّخم... أكيد هو، أمَّا رجل السِّراج... قرَّر مَن سيكون الثاني: لم أتلقَّ ردًّا من هضاب وأودية رأسي... تنفست بهدوء.

- لا يهم... يكون ما يكون... طالما هو الثاني "الاستبن" لا وزن له.

باغته.

- ألم تحافظوا على شرف الكلمة.

انفجرَ فيَّ غاضبًا... خفف محمود من حدَّة الحديث، هكذا ظنّ.

- فؤاد عاكف على الكتابة الآن يأستاذ!

كأن سيفًا بتر لسان الرَّجل... رشقت الحروف في هضاب حلقه... لم يتوقع محمود ردّ الفعل... ابتسمت مؤكدًا.

- إنها مذكراتي أو ترياقي لكم.

لم يقصد محمود ما يقول... كان فقط يدير دفة الحديث إلى موانئ أخرى؛ لتخفيف حدَّة الكلمات... لكني عالجت الأمر سريعًا... الغريب أنني كنت أفكّر في هذا منذ أن تركت الشّيخ مرتضى... ربَّما قرأ هذا في عيني... صاح بغضب.

- المقابلة انتهت.

***

أمسكت بعض الأوراق النَّاصعة البياض، رشقت القلم بالحروف... صار يفرغ ما في القلب من خفقات.

مراجعة أولى ٢٠١٣/٥/١١م.

مراجعة أخيرة ٢٠١٣/٥/١٥م.

obeikandl.com

2

قنص
دوائر الميدان

obeikandl.com

جاثمون فوق أسطح المباني... الفوهات مصوَّبة نحو دائرة الميدان... عيونهم تنفذ من خلال المنظار المرابض فوق السِّلاح، ببرود تبيت الرّصاصات في قلب الماسورة، المتشحة بالسَّواد والصَّمت... ينمو الندى عند أطراف هزيع الفجر... بعد هزيمة الليل المشتعل أمام المتحف... لازالت العيون والجسد المسجى في وضع استعداد للقنص... بعض الطائرات المارقة صوّرت المشهد... تجمع الشَّباب... حملوا اللافتات... انتظموا كرجل واحد... ملأوا دائرة الميدان... حشرًا كانت الأبدان... بصوت يهزّ عرش الإسكندر... صاحوا:

- الشَّعب يريد إسقاط النظام...

يتنفسون بصعوبة... من الحشود والتكاتف المتلاحم... لم تزل الفوّهات مصوَّبة... تنتظر أوامر المقطم عند ميلاد الصَّباح.

- كلمة السِّر "الجمل"...؟!!

ضجَّ الصّراخ... انطلقت محمومة من فوّهة دائرة صغيرة... مقذوفة بجنون نحو الرُّءوس... وابل من الرّصاص استقرَّت في الجماجم الشابَّة خلفت دوائر غائرة... سقط الشَّباب

الصَّغير... سقط من يده علم مصر، تمزَّقت الحروف في حلقه...

- سلميَّة... س...ل...م...

دبَّت الفوضى... الجمال تهرع في الميدان، سقطت هي الأخرى... الأصوات تزأر... تعلو... تتخللها الآليَّات.... بدأ قذف الطوب والأحجار... دخان يتصاعد إثر إطلاق قنابل الغاز... هرع البعض نحو خيمة الإسعاف... البعض حاول نقل مصاب بخرطوش في العينين، تتساقط الدّموع، تختلط بالضَّجيج.

***

عند كوبري ٢٦ يوليو وقصر النيل اصطفت العربات المحمَّلة بالجنود... كرّ وفرّ... تقدَّمت الآليَّات نحو الجموع المحتشدة... بدأت تقذف مضخَّة مياه الكتل البشريَّة... لازالوا يحملون أعلام مصر.

- الله أكبر... (أذان العصر...).

توقفوا في منتصف الكوبري... أمام سيَّارة مصفحة يتقدَّمها خرطوم المياه... بدأوا الصَّلاة... بدأ الضَّخّ نحوهم... كانوا

يسجدون وتقذفهم خراطيم المياه... لا يعبأون، سقط أحدهم من قوة الضّخّ... عاد ليكمل صلاة الجماعة، الجنود يقفون... يترقبون... ينتظرون أوامر حبيسة أجهزة اللاسلكي الصّغيرة... ينظرون للمصلين. تنتهي الصَّلاة الغارقة في مياه الطهر والتراتيل... يعودون للهتاف...

- سلميَّة... سلمية...
- الشَّعب يريد إسقاط الرَّئيس...

بدأت قنابل الغاز المسيل للدّموع... تملأ الكوبري... فرُّوا للشَّوارع الجانبيَّة... هرعوا نحو زجاجات المياه... يغسلون العيون التي تدمع ألمًا.

سحابات الدّخان تعلو... يسقط الشَّباب مغرقًا بالدِّماء.

***

الحناجر تنطلق... الرَّايات تعلو... المليونيَّات تقتحم الشَّوارع... تحرَّكوا من أمام مسجد القائد إبراهيم بالإسكندريَّة... سمعت حشودًا تحرَّكت في حي الأربعين بالسّويس؛ توجَّهوا صوب مسجد سيدي جابر يهتفون عند تقاطع شارعي شامبليون وعبد الحميد بدوي، تصدوا للجنود.

obeikandl.com

وابل من قنابل الغاز تنطلق... طلق ناري مستمر... تصدّى الرِّجال بأعلام مصر وصدورهم المملوءة بسلة ودماء قد سال... البعض متفجِّرًا إثر تشابك أصحاب الدّروع الواقية والزي المطعون بالسَّواد. قذف أحد الشَّباب وابلاً من الحجارة... تقهقرت الجنود للخلف... ازداد قذف الحجر. أصيب بعض الجنود. كنت حزينًا للمشهد... تذكّرت أيَّام ١٧ و١٨ يناير ٧٧، لماذا في يناير تثور دماء المصريين؛ وتتفجَّر ينابيع الثورات... أصاب إحدى المركبات... احترقت سيَّارة أخرى بعد إلقاء زجاجة مولوتوف... فرّ الجنود بعد تشابك دامَ أيَّامًا.

***

openkandl.com

جمعة الغضب

تفجَّر الغضب إثر تسليم المؤذن للصَّلاة... كأنه يوم الحشر... تزاحم كبير وتلاحم للأجساد؛ تظهر النساء في مكان مخصَّص لهنَّ... مزدحمات... أكثرهنَّ فتيات ناضرات... كان بعضهنَّ يقفن في دائرة منزوية يرتدون زيًّا موحّدًا، يرفعنَ صورة لرجل ملتحٍ بطربوش، وأسفل الصّورة سيفان... لم ينتبه الكثير لهنَّ... بدأوا يهتفون... هزَّ الصّوتُ جنبات البلاد كقذائف رعد تزلزل القلوب الوجلة.

- هل تمر الجمعة على خير...؟

ازدرتُ ريقي الجاف... مشهد الجموع في التحرير، وصوت المظاهرات بجواري أشعرني بأنَّ الوطن، يحسمه غضب اليوم الذي يتأجَّج... عقرب الثواني حاد، يقطع الصَّمت الذي انخرس طويلاً في الحلوق... كان البعض يعارض بحنق، يزور بعض رجال أمن الدَّولة... يبيت أحيانًا في السِّجن، يعلم السَّبب الحقيقي... الرِّجال المحيطون بالرَّجل الكبير وابنه الطموح، يوهمونهم بأنَّ الصَّواب ما يفعلونه... تنادي

التظاهرات بسقوط الابن والأب... يمزِّقون صورهم... يرسمون مشانق لهم، يعلقونها في التحرير... تتدلى أعمدة النور، التي تفجَّرت مصابيحها ليلة أمس. تعلو الهتافات... تزداد حدَّة، يبدأ صوت الضَّرب والقنص... تفرّ الجموع في جنون... يبدأ قذف الأحجار على المدرَّعات السَّوداء... دخان كثيف يعلو، إثر ضربات متتالية من دويّ الخرطوش الرَّاعد في القلوب... العيون تنزف، يفقد شاب العين اليمنى يهرعون إلى مستشفى ميدانيَّة... يطلبون سيَّارة إسعاف ينقل لمستشفى تبعد عن التحرير... يزداد النزيف والألم.

- ما اسمك؟

بصوت يختلط بنزيف الدَّم.

- ..... حرارة...

يحاول الطبيب إيقاف النزيف، حتى يصل للمستشفى... عشرات من الجثث سبقت أحمد... ومئات من المصابين... اختناقات في الصَّدر وشلل في التنفس.

- غازات اليوم قنابها طازجة...

نظر إليه الطبيب.

-تموتون وأنتم تمرحون.

صاح أحدهم:

-نموت ويحيا الوطن.

-كلا... نموت (بوجه عابس) نموت وتحيا الجماعة والعشيرة.

لم أهتم لكلماته... ازداد النزف من الجميع... الكلّ مصاب... الكلّ يخرج من المستشفى للتحرير... لا أحد يعود للبيت ودفء الفراش قبل تحرير الوطن من الأسر... كانت ساعات نهار الجمعة مملوءة بالضَّجيج؛ والهتاف؛ مختلطة بالدّم.

-الشَّعب يريد إسقاط النظام...

-ارحل ارحل يا مبارك...

-يا طيَّار يا طيَّار جبت منين ٧٠ مليار...

بدأت تتصدَّي قوَّات الأمن المركزي بكثافة أقل، وعشوائيَّة في الهجوم المباغت... كرّ وفرّ، والفرّ كان كثيرًا... لم نصدِّق بعض الأخبار... سيَّارات شرطة تصدم المارَّة بجنون؛ على الإنترنت شاهدت الفيديو (يقولون لم يكن السَّائق من الشّرطة بل من الإخوان).

بدأ النهار تتساقط أضواؤه... رشقَ الليل أقدامه السَّوداء في جنبات الوطن... بعض القنوات أذاعت الأحداث على الهواء... إحداها كانت تغالط في الحقيقة... تضلل المشاهدين كقناة الجزيرة، التي تحلم بتمزيق الوطن.

- القنص كان من أعلى البنايات؟!

- أصابوا رُءُوس الشَّباب...

- مَن هم...؟؟؟

- شباب الإخوان... كانوا يشبهون الحمساويَّة... مدرّبون جيّدًا... الحقيقة ستظهر يومًا...

انقسم التحرير في هزيع الليل الأخير إلى جانبين... كلّ فريق يلقي بالمولوتوف على الآخر.

***

كنّا نفترش الرَّصيف... نتقاسم ساعات الليل... ندثر بعضنا بالحكايات، نملأ المعدَة الخاويَة بقصيدة لأمل دنقل "الكعكعة الحجريَّة" ولدت هنا في حديقة التحرير الدَّائريَّة، الخيام الصَّغيرة ينفلت من جنباتها الرِّيح القارس، وبرد يناير... عند الصَّلاة كان حنّا ومينا، وبعض الفتيات يقفن دروعًا يحمون

obeikandl.com

ظهور الشَّباب والرِّجال... سيَّارة محمَّلة بالبطاطين واللافتات وأطباق الكشري... تزحف عند انبلاج الصَّباح... تراتيل تترى بين الجموع الحاشدة.

- متى يرحل الرَّجُل...؟؟!

***

- مَن ضد مَن...؟

الكلّ من الفصيلة نفسها.

- لن يمرَّ اليوم دون عقاب للرَّجل المسنّ...

بدأت تزحف نيران المولوتوف على محيط المتحف المصري.

- هل يحرقون تاريخ خمسة آلاف عام؟

- البعض يعتبرونها أوثانًا...!

***

إثر إعلان خبر التنحِّي... هرع النَّاس للشَّوارع فرحين... هرعت أسجِّل لحظات لن تتكرَّر... وقفنا أمام الدَّبَّابات لالتقاط الصّوَر... يهتف الجميع مهللا بحريَّة الوطن... تمَّ التخلص من

حكم أبدي... تخلصنا من الابن صاحب كاريزما النفور من كلّ الأطياف.

- لن تحكم يا جمال...

نظرت للوجوه... تفاعلت مع المشاعر والابتهاج... رددت وأنا أسير نحو كورنيش البحر، في ليلة قارسة البرد.

- مازال المشوار طويلاً.

obeikandl.com

obeikandl.com

3

الليل الرَّابض

obeikandl.com

الليل الرَّابض

ترتاب العيون من الليل... كان دثاري في كلِّ مهمَّة ألفة بين السَّواد الفسيح وبين أنفاسي... دقات قلبي... تذوب قطع الليل... حين أتأمّلها قبل موعد ساعة الصِّفر... أرتدي ملابس متشحة... تغازل السُّكون المترامي فوق فيروز، تناثرت رماله، رائحتها تعوَّدت عليها أنفي، عشقتها... كنت أصيح مع أوَّل دوي انفجار للغم أودعته في رمالها.

- أنا زعيم الليل الهاجس.

كنا كقنابل صامتة... تنتظر بصبر لحظة تعانق... عقارب السَّاعة... كي تزأر في وجه العدو، تصيح متناثرة... كرعدة في قلب واجف... صيحاتنا تتعانق مع شظايا القنابل والألغام، الرَّابضة فوق أجسامنا... لا تفارق جسدي ليل نهار... لم نرتعش منها يومًا أو نهتزّ؛ فنحن صناع الدَّويّ عبر غطاء الليل.

***

أفرغ الليل كلّ ساعاته، وطعن النهار في يوم عاشر من أيَّام الشَّهر المبارك، لم يكن جنود "الكوماندوز" اخترعوا أيَّام بدر، لا أدري لماذا تذكَّرت هذه المعركة، نزيف النهار وجرح

عقرب السَّاعات في زمن الظهر... إحساسي خاب لأوَّل مرَّة... أنفي تشمّ عبق الفيروز في سيناء... لم تصدر تعليمات بوهج الحرب، لكنه إحساسي لم يزل نابضًا.

***

رفعنا أيدينا صارخين... تعانقنا... هرعنا إلى السّترات السَّوداء الملطخة ببقايا قطع الليل المنصرم ليلة أمس، تدثرنا بأصابع الألغام فوق البطن والظهر... تتدلى القنابل فوق الصَّدر. الخوذة والشدّة... ودعوات القادة بعد التعليمات الدَّقيقة، لم أتصوَّر أنَّ المهمَّة ستكون في وادي سدر، ومتلا، والصَّبحة، ورمانة، وفي قلعة الجندي وجبل حيطان، وفي وادي الجري كانت بعض القوَّات مهمّتها عبور القناة بالقوارب المطاطيَّة... وقهر السَّاتر الترابي بالحبال والسَّواعد والأظافر... وتمهيد طرق الفلول القادمة... تطهير كمائن العدو؛ كي تستقبل رمال الفيروز... زحف الرِّجال الذين صمدوا سنوات كي يفرغوا كلَّ الشّوق والتعبير عن مكبوتاتهم بكلّ وسيلة... تدرَّبنا من قبل على هذه الملحمة خلال السَّنوات المرَّة... لكننا نفعلها اليوم بأنياب الجوع... نفصّلها بالتهام الصَّبر المتراكم فوق الصَّدر... كانت بعض المجموعات

مهمّتها سحق خط بارليف، وأخرى زرع الكمائن لاقتناص دبَّابات العدو، لو حاولت الاقتراب مرَّة أخرى من السَّاتر الترابي الذي أصبح ملكًا لكلِّ قدم مصريَّة... وحرمت على كلّ قدم غاصبة... دنسة.

مجموعة أخرى كانت مهمّتها اقتحام المواقع الحَصينة للعدو... كنتُ أتمنى الأخيرة... فهي تنتهي باشتباك السِّلاح الأبيض... يعلم الجميع "قباري" الوحش... مهارته بقرن الغزال، و"المدية" و"الخناجر" و"السِّلاح الأبيض". كانت المهمَّة في يوم "الظفر" من أكتوبر العظيم! مواجهة الجيش الثاني والثالث الميداني في عمق سيناء... التوغل في رمال الفيروز أكثر... ما أجملها، وأعظمها... كانت قوَّات تستعد من مدرَّعات العدو للقتال العنيف... أرادوا أن يجهضوا الأعلام المرفرفة فوق التباب بعد العبور. قتال الطرق والمضايق... تدرَّب عليه أفراد مهمّتنا جيّدًا... يحتاج للصَّبر والصّمود وشجاعة لا يكبح لها جماح. كنا نلقي بالقنابل... مثل لعبة "البلي" في حارات الورديان... نتسلل أسفلها... نصعد فوق مؤخرتها... نفرغ قنبلة... نفرّ هاربين... كما كنا نفرّ فوق كوبري التاريخ بعد مشاغبات طفوليَّة للسيَّارات المارقة في

هوس وجنون. لم تعرف صدورنا يومًا صنفًا للوجل. كان علينا القتال... والصَّبر. وإيقاف العدو عن فكرة التقدُّم... لم يتردّد زميلي "حنا" في معانقة فوّهة دبَّابة كادت تخرج عن حدود المهمَّة الموكلة إلينا، ولم يتردَّد "ناصر" في تفجير قنابله الرَّابضة في كلِّ موضع من جسده؛ كي تنجح مهمّتنا... سمعتُ بعد انتهاء المهام عن بطولات أعظم ممَّا قدّمت... فشعرت بالخزي... كان رجال "الصَّاعقة" المكلفون بمهمَّة مضيق سدر أكثر حظًّا منا... ظلوا في بقاعهم البطوليَّة... يصنعون نصرًا من يوم السَّادس حتى الثاني والعشرين من أكتوبر، وحرموا العدو من اجتياز الموقع حتى آخر لحظة بإصدار الأمر، بالارتداد كي ينضمُّوا لقوَّات الجيش الباسل الثالث.

بثت في عروقي النشوة حينما علمت بمهمَّة نسف وتدمير منشآت ومستودعات البترول في أبو رديس وبلاعيم وأبو زنيمة...

و...

***

لم تزل في الصَّدر حكايات... لم تزل في القلوب لحظات الظفر... لم يزل الذعر في قلب العدو رابضًا.

4

الضّفة الأخرى

obeikandl.com

obeikandl.com

الضّفّة الأخرى

عيناه ترصدان الضّفة الأخرى، السَّاتر الترابي يعلو، تحجب الرّؤية عن الخط الجهنمي، سمعَ أنه يضاهي "ماجينو"، اخترق تحصيناته منذ فترة، في إحدى المهمَّات الانتحاريَّة، يبدو أنه أصبح منيعًا... كم أكره هذا الاسم "بارليف"؟ كان ينظر للسَّاتر بنظارة الميدان، يرصد تحرُّكات في مواضع مختلفة... كانت مياه القناة صامتة، تحرِّك موجاتها المتقازمة الرِّيح... كان المشهد في رأسه لا يمحى... يعشِّش في حجرة الذاكرة... ارتباك على طول خطِّ القناة... أمر عسكري بالعبور للقتال، وأمر مضاد بالانسحاب، الطائرات تحصد المئات، تتلوَّن صفحة المياه بالدَّم الطاهر... لم يمضِ على تجنيده سوى شهور... كان أخوه يسبقه بعام، انتهت أصوات المدافع... لم تخمد في صدره بعد مرور سنوات عديدة، منذ يوم فقد أخيه أسيرًا في يونيو الحزين... هكذا قالوا له... سمع حكايات كثيرة مريرة... إنه في سجن تحت الأرض بجوار ممر "متلا".

يتنفس في صمت، يرصد السَّاتر الترابي، يودّ لو ترحل عيناه إلى "متلا" يحرِّر أخاه... يحلّ قيوده... يظفر بالنصر.

- مالك يا وحش... مهموم؟ رأيت جديدًا فوق الضفة؟

ينظر إليه بعيون متحجِّرة.

- هل تعتقد أنه سيحارب.

بتعجُّب...

- الرَّجُل تولى الحكم منذ ثلاث سنوات فقط.

بعصبية...

-إننا منتظرون ست سنوات من الهزيمة.

ربت على كتفيه...

- هدئ من روعك... الحسابات ليست ضدنا.

- كيف؟ الزَّمن ضدّنا.

- من ٤٨ حتى ٥٦، هناك ثماني سنوات.

- ومن ٥٦ إلى ٦٧ (١١) سنة.

هزَّ رأسه:

- بالضَّبط.

بانفجار...

obeikandl.com

- أنا لا أطيق انتظار ١١ يومًا.

اتجه نحو السّلم ليرتقيه إلى أعلى ليتسلم ورديته.

- لا تنسَ يا أخي أن تتسحَّر، فغدًا رمضان، كلّ سنة وأنت طيّب.

***

مقذوفات تتفجَّر، تتطاير شظايا نحو حصون باراليف... تدك أوصاله في نشوة عارمة، يخفق قلب الجنود، تتهلل في صيحات تنطلق "الله أكبر"... الدّخان يملأ السَّماء... الآذان اشتاقت لأصوات الدَّانات... أصوات الطائرات تشقّ القلوب الرَّابضة في انتظار، تعبِّر بأجنحتها، يودّ "صلاح" أن يعبر معها... يصل إلى "متلا" يحرِّر سجن أخيه وبقيّة الأسرى... يطارد فلول الأعداء حتى مطار "اللد"، يدكّ حصونهم من الفالوجا مع "ناصر"... يطهِّر أرض المقدس من نعالهم... يحيط بذراعيه سور البراق... يغسله من ادعاءاتهم الكاذبة بأنه حائط المبكى... يصلي في وادي طوى، يؤذن "الله أكبر".

- أرأيت يا "أبو صلاح" لم تمض ١٠ أيَّام على تحقيق الحلم.

- فعلها الرَّجل الأسمر.

- قالوا تهكمًا "أسى أسى... قال هيحارب ونسى".

- كان يقصد... حتى إذا حارب... يظنون أنها كذبة ككلّ مرَّة.

- حتى يفاجئ حصون العدو.

يحمل فوق الكتف "الآر بي جيه" ينهض مسرعًا.

- خذ حذرك.

يهرع نحو القارب المطاطي... المقذوفات تخترق واحدًا... يتلوَّن بدم الشّهداء...

تتلوَّن صفحة مياه القناة... يشقّ المجداف قلب الماء... يقترب من الضّفة الأخرى... كان يشتاق لحضنها، لم يزل الرِّجال يهزمون "نلالة" من السَّواتر الترابيَّة خلال الطلمبات...

يعبر خلال الشّقّ الذي صنعته سواعدهم... يدلف نحو قلب سيناء... يعلم مهمّته... كان يذاكرها ست سنوات... يمتطي سيَّارة، يهبط منها مسرعًا... يرتمي على الأرض... يتفادى انفجارًا... يحمل "الآر بي جيه"، يصوّبه نحو أوَّل دبَّابة للعدو... تخرّ صريعة... يهلل الرِّجال... تعلو صيحاتهم "الله أكبر".

يتحرَّك مع عدد من الرِّجال نحو الصَّحراء، يتوغلون بأقدام تطأ خطوات الانتصار بعد أن كان يفتك بهم انكسار يونيو... تطلّ شمس أكتوبر، تطارد فلول يونيو، يرتدّ مدحورًا، يلمح تحرُّكات مجنزرة، يختفي وسط الدّشم، يتحرَّك في الاتجاه العكسي للمدافع النيرانيَّة للعدو.

أمسك بيديه المدفع... صوَّبه نحو الدَّبَّابة... اخترقت جدرانها، صاح مهللاً:

- أسرت عساف يا جوري.

كان الخبر مدويًّا... سار بين صفوف العدو... يفتك برءوسهم... تهلل رجال مصر... صاح أحدهم.

- هنا مقبرة الغزاة... همُّوا كي نهيل عليهم التراب، كما فعلنا مع الحيثيين.

ابتسم صلاح.

- صدّقت يابن أحمس.

تتحرَّك السَّرايا... حاملة صيحات الانتصار... تهزم فلول الانكسار والصَّمت... الألوية والمدرَّعات تحشد على طول

الجبهة... تتوالد الحكايات عندما يهزم المساء النهار... يمتزج التعب بالكلمات من الأجساد المسجية.

- سمعت أنَّ جولدا مائير أرسلت استغاثة لنيكسون.

- سنحارب أمريكا؟

هزَّ رأسه صلاح.

لا نستطيع.

تكاثفت سحب الدّخان والغيوم... مقذوفات الأفكار تتدافع من الرءوس... الليل يتنسَّم برودة عابرة، تنتظر وهج الغد... يسحب أذنيه من الحكايات المتناثرة عبر المخيَّمات والدّشم.

- ديان يهدّد بقذف مدفعي سيردّنا إلى الضّفة الغربيَّة.

يتهلل الرِّجال.

- لن تتكرَّر مأساة عرابي... لن نهزم... لن تفرز الجنازير جسارة... ترتفع فوّهات المدافع، تطلق غيظها نحو مشارف "متلا"، تعجّل "صلاح" لحظة اقتحام صفوف العدو، أمره رئيسه بالتأني... لم يأذن له بعد بالاشتباك، عليهم الاحتفاظ بكلّ شبر استردّوه؛ حتى لا تضيع حروف أنشودة النصر الذي ظفروا به.

- أعرف قصَّة أخيك، لكن إذا كانت خدعة كمزاعم إسرائيل التي نطؤها الآن.

كانت عيناه متقدتين، كاد يفقد صوابه.

- أتعني أنه مات.

- هدِّئ من روعك، نحن لا نعلم شيئًا حتى الآن.

صاح آخر:

- إنه لم يمت، بل سيكون شهيدًا، كأخي الذي فقدته أمس.

نظر إليه صلاح، وعيناه تفيضان بالدَّمع.

- لديك حق.

صاح القائد:

- كلنا فداء للحريَّة... للوطن.

***

استمرَّ القتال شرسًا في الأرض التي عبرت فيها العذراء البتول، تخفي أثرها، تحتضن النبيَّ الصَّغير على كتفيها، تحنو أرض طوى على النبيّ موسى، عند مشارف الطور، كانت الشَّجرة المباركة تتقد نارًا... يسجد الجنود... يصلون... يفطرون بعد ساعات النهار العصيبة.

- هنا سار موسى.

- هنا سارت البتول.

obeikandl.com

- هنا سار أحمس.

- هنا سار يوسف.

اقتحم القائد جلستهم.

- لدينا أوامر بتشديد القتال في شمس الغد.

- سنجعلها مقبرة للغزاة دومًا.

***

أفرغ الرِّجال داناتهم... صبُّوا جام غضبهم نحو ما تبقى من طائراتهم... لم تترك السريَّة موضعًا إلا صوّبت نحوه... الدّخان يملأ السَّماء... تتعانق مع صيحات التهليل والتكبير.

- جاءنا الأمر بوقف القتال.

صاح الرَّجل في غضب.

- إننا لازلنا في سيناء، لم نعبر نحو الفالوجا.

- لم نقتحم أورشليم.

- لم نقتحم متلا.

أمسك صلاح "الآر بي جيه"، صوَّبه نحو العدو، أمسكه القائد.

- لا تضيّع ما أحرزناه من نصر غالٍ، ستظلّ حكاياته تروَى عبر القرون.

لفظت الشَّمس آخر أشعتها عبر اليوم المنصرم، كان الأمر بوقف القتال قاسيًا على الرِّجال... يوخز القلوب المملوءة جسارة.

تابع الكلُّ الأحاديث التي تذاع والبيانات... رأى أحدهم صورة عسَّاف[1] في الجريدة، يقصّ كيف وقع في أسر الرِّجال الأفذاذ، سمع السَّادات يقول:

- أنا لا أستطيع محاربة أمريكا.

لكزه القائد.

- إنه رأيك يا صلاح، أرأيت.

كان الخطاب مدوّيًا... فهم مغزاه البعض حول ثغرة "الدَّرفسوار".

- إنه مكسب تكتيكي.

- ومكاسبنا نحن.

- استراتيجيَّة بالطبع.

صاح أحدهم:

- هكذا انتهت المعركة.

- إنه إعجاز يا رجل... عبور في ست ساعات و...

- لم نحرِّر سيناء كلها.

- الحرب المحدودة في المساحة بطول القناة هي الهدف.

- ولماذا لا نكمل والعدو قد خرَّ صريعًا؟

---

[1] عساف باجوري قائد اللواء ١١٩ مدرعات، الإسرائيلي الذي أسر في حرب ٧٣، والذي أسره العميد يسري عمارة.

obeikandl.com

- سنكمل.

تهلل الرِّجال.

- ولكن بقوَّة أخرى بلا مدافع أو طائرات.

لم يفهم البعض قصد القائد.

- الأيَّام ستفصح قريبًا... إني أشعر بذلك.

صاح فيهم:

- إعجازكم في حرب الزَّلازل سيظلّ دومًا.

بدأ كلّ فرد يقصّ حكايته، كيف نجا من موت محقق... كيف كانت حلاوة النصر... سأل أحدهم وهو يحمل سلاحه.

- وغرب القناة.

قالها مؤكدًا.

- سينسحبون لا مفرّ.

- ومتلا والبحيرات المرَّة.

- ستصبح حلوة بعد المرار.

هبَّ آخر.

- سنستعيد سيناء كلها؟

هزَّ رأسه.

- لن نترك شبرًا... أنا متأكد من جسارة المصريين... قرأت التاريخ كثيرًا ووعيت الدَّرس.

obeikandi.com

5

تعاريج البحر

القصّة الفائزة بجائزة إحسان عبد القدوس المركز الثاني عام ١٩٩٨

obeikandl.com

obeikandl.com

تعاريج البحر

عتيًّا كان القارب... تنخر الأمواج جنباته... تعاريج الحواف تفصح عن ساعات الصُّمود... لم يلن... تقوُّس أخشاب "السرو" تشي بسنوات العمر... يحمل فوقها كاهله، وأيَّامًا عصيبة... كانت تصمد للرِّيح... لطمات الأسماك العملاقة؛ وهي تتصارع سابحة خلف نتوءات جذر "فاروس" البارزة من أثر الزَّلازل، عند الأنفوشي ورأس التين... ماردًا كان الصَّاري يشقّ السَّماء... الأشرعة تمتلئ بعباب الرِّيح، وفيض النوَّات، يرحل القارب بعيدًا عن العيون... يشدّ الحبال بيد معروقة... تحفر السَّنوات السَّاعدين... تبرز عضلات مفصليَّة... تقصّ بطولات زاخرة بالرَّأس... يخط ذكريات جديدة مع ميلاد شمس جديدة... يقصّ الصَّيَّادون وهم يرونه عبر الأفق البعيد، يفرزون الحكايا عند الشَّواطئ عن عجائب الصّيد، لم يجرؤ أحد أن يسبرَ أغوار ما تسكن إليه شراع قاربه... لتنسج تاريخًا لم يصنعه غيره من الصَّيَّادين، قالوا: لولا القارب ما كان الصّيد وفيرًا، تملأ تضاريس وجهه

الضّحكات... مترعة من القلب الغضِّ... يترك لهم قاربه العتيق، لم يتحرَّك، حاولوا قهره، كان عنيدًا، لفظهم عند أوَّل موجة... عادوا سابحين... تزداد مساحات الضّحكات في وجهه... يشدّ القارب بالحبال... طيّع لأوامره، يبحر أمامهم في شموخ، يشقّ أمواج الأنفوشي بجسارة، تملأ الشبَّاك المتهالكة بالأسماك، تفترش حبَّات الرِّمال... تنتشر رائحة اليود... تملأ الأنوف... في المساء يقعى، يرتق خيوط الشبَّاك... يرتق أوردة القلب... يشقّ السُّكون بضحكة... يفرز حكايات الأيَّام السَّابقة، وكيف هزم فلول الأمواج والأسماك الضَّخمة، كانت إحداها تملأ القارب من ضخامتها، تحدَّث أهل الصّيد عنها ليالٍ أيَّامًا، ملأت المقاهى المسامرات.

***

يتلمَّس مساحات الأخشاب بيدين محمومتين، يتشمَّم رائحتها، يشعر بلسانه يتمدَّد داخل فمه، يتضخَّم.

لا يقوى على الكلام... تزداد حدَّة الحمَّى، يجسّ أحدهم جبينه، تتلوَّن بالحمرة.

- لا حول ولا قوَّة إلا بالله.

تأتي فتاة صغيرة ببعض الأغطية والدّثار المهترئ، يضعونه فوق الجسد المستسلم، ترتع فيه السُّخونة.

- ننقله إلى المستشفى.

- في الصَّباح سيكون كالحصان إنْ شاءَ الله.

- لم يمرض قط!

- هزمته فلول الأمواج.

- هل سيتصدَّى لصخب الرِّيح مرَّة أخرى؟

- أعرف قصَّته منذ صباه.

قالها عجوز هدته السّنون، فرك رأسه الذي أصابه الشيب، أمسك علبة صدئة، نزعها من قلب الصّديري المدموغ بعلامات الصَّدأ، سعل... أفرز بقعًا صدئة... فتح العلبة... أخرج ورق "بافرا"، وبعض "التمباك"... لفَّ السِّيجارة بأصابع مدرَّبة... وضعها في فمه... أشعلها، سحب أنفاسًا مولعة، امتلأت الحجرة بالدّخان، لفحته امرأة بدينة كوبًا من الشَّاي.

(كان يعمل صيَّادًا صغيرًا عند المعلم "مرسي" الذي أعجب بحيويَّته وذكائه وشجاعته، عندما يخوضون عباب البحار،

obeikandl.com

تشتدّ الأمواج، لا يهتزّ، يشرع صدره للرّيح... يصيح: "هلمي سوف أقهر صوتك بزئيري، لن تكلَّ يداي من التجديف مهما علت الأمواج". كان الرِّجال يتعجَّبون لنزواته، كانت الأمواج العاتية تشعل جذوته ونزقه، لم يتعرَّف أحد على هذا السّرِّ، قالها أحد الصَّيَّادين (سوف يموت مدفونًا في إحدى تلك الأمواج يومًا)، ازداد الهوس بالرَّأس، رفعَ يديه للسَّماء... صاح في وجه الأمواج:

- كفي أيَّتها الأمواج.

كانت تصفر الرِّيح.

- كف أيُّها الرِّيح.

بعد دقائق... ابتلعَ البحر أمواجه... أصبح (حصيرة) هزم صوته الطفولي الزّمهرير... طاشَ عقل الرِّجال... أيكون مخاويًا هذا الطفل؟ ألقى بالشّبَّاك... كانت سمكة تماثله في الطول... ساعده المعلم "مرسي"... صاح:

- عفارم عليك يا واد يا بحر... لا... المعلم بحر).

العيون ترتسم فوقها الدَّهشة... وأعاجيب الحكايات، لفحة من الهواء السَّاخن... تنقلها نسمة فوق وجوههم... ينظرون للمعلم

بحر، وهو يسبح في تخوم الحمى. بعض الأيادي تتشفع له ضارعة لسيدي الطرطوشي والمرسي أبي العبَّاس وسيدي أبي الدَّرداء... يد رقيقة تبدّل له (خرقة) من القماش المبتل فوق جبينه المغموس في ماء بارد لعمل بعض (الكمادات). لم تزل الآذان تنتظر كثيرًا من الحكايات بشغف عن صباه وشبابه ونزواته مع بنات الأنفوشي، تهتزّ أخشاب من الدَّاخل... تئزّ إثر مروق فأر.

- سوف يحزن كثيرًا حينما يكتشف...

- كان الحلّ الوحيد لدينا...

لم يجرؤ أحد من الرِّجال أن ينطق بباقي الكلمات، كانت الحروف تتعثر في الحلوق... ينقبض القلب، تغضّ الأبصار.

- لو علمت لاستضفته في بيتي.

صوت خشن لا يهتزّ.

- لم تسدّد له دينه حينما لجأ يومًا لك.

نكس رأسه... لم يقوَ على الرَّدِّ، نزفَ المعلم بحر عرقًا كثيرًا طوال عدَّة ساعات... عند حواف الفجر... بدأ يفيق... يتلمَّس بعض الأشياء حوله... يتشمَّم رائحة الشبَّاك... يبحث بعينيه

عن شيء ما؛ وسط الرِّجَال والنساء المتشابكين حوله، صوت طنين وهمهمات لم يفهمها حتى الآن... فهمته فتاة صغيرة كانت تبكي طوال السَّاعات الماضية... نزعت من فوق الجبين آخر قطعة مبتلة... كانت الحمى قد هدأت، تسرَّبت من الجسد الواهن، أرادَ أن يتحرَّك خارج الكوخ الخشبي... صدمته أخشاب الكوخ، اضطرب لها القلب المضرَّج بدمائه، حاول أن يتلمَّسها، كاد يقع، سانده أحد الصَّيَّادين، تحسَّسها بكفٍّ عتيق... لكزها... طفرت دمعة من عينيه... قالها أحدهم.

- لم نجد غير أخشاب القارب المتهالك نصنع منه دثارًا لك.

- القارب أصبح حطامًا... فكرنا أن يكون كوخًا يقيك من حرِّ الشَّمس اللافحة، وبرد الشِّتاء.

- الحمَّى كانت ستقضي عليك.

- الحمد لله أنكَ...

خرَّ على الأرض... تسرَّب من بين أيديهم.

obeikandl.com

6

الطَّائرة الورقيَّة

obeikandl.com

الطَّائرة الورقيَّة

أشرعت الطائرة... شدَّتها الرِّيح بقوَّة... أرخيت جدائل الخيوط... ترتحل... تتقوَّس لأسفل... أشدّ طرف الخيط... تعلو... أشدّ ثانية بمهارة... تعلو أكثر... أرخي لها حبل الوريد... تشقّ السَّماء... ترتحل بعيدًا...! أثبت طرف الخيط بإصبعي السبَّابة والإبهام... تقف في الهواء ثابتة... ابتسمت... نظرت لأبي... كان بصره معلقًا لأعلى... بزهو.

- هل طائرتك تحلق هكذا؟

سدَّد نظراته إلى عينيّ... شعرتُ بالخوف من وجهه الجامد... تصبَّب عرقًا فجأة...! توجَّه ناحية أقرب مقعد بحديقة السِّلسلة... علقت بصري على ذيلها الطويل... تداعى إلى مسامعي صوت فيروز:

(طيري يا طيَّارة طيري... يا ورق وخيطان

بدّي ارجع بنت صغيرة... على سطح الجيران

وينسانا الزَّمان... على سطح الجيران).

***

orelkanar.com

شددتُ وثاقها في خصر إحدى الأشجار... جلستُ إلى جواره، لم تزل عيناه ترحلان بعيدًا، الشّرود يسكن "النني"... طفرت دمعتان على الوجه الجامد... انزلقت... اصطدمت بنتوءات بالخدِّ... انتحرت عند الذقن...! في المقعد المقابل في أقصى الحديقة... يتلاصقان... يطوّق الفتاة، لم يلحظ أبي... غضضتُ البصر.

- مكانك هناك.

- الجبهة... بعيدة المنال... سخونة رمالها...

سنمكث هنا طويلاً.

- كيف انتهى كلّ شيء سريعًا؟

تفقد الطائرة بعض اتزانها... هرعت إليها بقلب خافق متدفق... عادت نظراتي تملأ عينيه الشَّاردتين... كانتا تتأمَّلان قلعة قايتباي... تبدو قريبة من آخر لسان الحديقة... لا أدري لماذا أسموها السّلسلة؟

هل كانت دائرة محكمة! انفرط عقدها... انهزمت أمام موجات البحر... الذي يحيط بنا من ثلاثة جوانب... يقولون سكن فيها قيصر... حارب أنطونيو فوقها.

- هل كانت كليوباترا تستحمّ هنا؟

نظرت للبحر... كانت مياهه عميقة.

- مَن جرّفه؟ عمّق مساحاته؟ اقتربت من أبي... كانت عيناه انتقلتا لقباب ومآذن أبي العبَّاس... ظلت تتحرَّك في دائرة... تصطدم بالجندي المجهول... يخفي الوجه داخل الكف... يعصف القلب بشدَّة... لامست صدره... جرف كثيرًا منه... امتلأ بأشياء أخرى لم أعرفها.

- الحفرة معدّة.

- بل سبعًا وستين من الجثث.

- هل تسع الآلاف؟

أضاف...

- الجيف وارتها الرِّمال بجوار حطام طائرتك؟!

زعق:

- أين النصب سيكون؟!

(ضحكة من الأعماق خافية في دهاليز البيت الأبيض الأسود والكنيست؛ كالليل الفاحم الذي يهزم احتضار الشَّمس عند الأفق).

- حتمًا سيبنونه يومًا للمجهولين!

***

نسيت الطَّائرة، نظرت إلى المقعد المقابل... تلاصقا... كادت تستسلم للجو...؟! دون إرادة... وددتُ لو صفعتُ الفتاة أو الولد أو الشَّجرة التي تتساقط أوراقها دون أن ندري؟! لم يزل أبي يدفن وجهه في الكفين، كانت أحد الأصابع مبتورة... معصوبة حتى الرّسغ بضمادة عسكريَّة "ميري". شقت السَّماء طائرة كبيرة الحجم، هرعتُ نحو طائرتي... تشابكت الخيوط بخصر الشَّجرة... لم أستطع فكّ محابسها... كانت الطائرة الأخرى تقترب من طائرتي... حاولت إرخاء ما بقي من الحبل... لم أستطع... حرّكت الخيط جهة اليمين للمناورة... طائرة العدو تعلو طائرتي بمسافة، ابتسم صاحبها بعينين ملؤهما الصّلف والغرور... نظرت إلى أبي لم أجده، عصف القلب في الصَّدر... انغرزت الضّلوع بداخله... أخذ ينزف... اهتزّ الخيط الممدود في أصابعي... فشلت المناورات... انقضت على طائرتي سريعًا... لم أستطع الفرار... علا حبل طائرته الممدودة، كانت تتحطم طائرتي... تتطاير نتف من الورق في

الهواء... تسقط كشظية فوق رءُوس الأشجار... تجاوزني بخطى صرعت أنفاسي المتهدِّجة... اتجه صوب طائرات أخرى يحطمها... نزف القلب كلَّ ما في جوفه... الخوف امتلأ بالغرف والشَّرايين... اندفعت في كلّ عروق الجسد الرَّاقد في انبطاح... نظرت للشَّاب والفتاة... كانا خلف الشَّجرة الكبيرة... المقعد خال.

صفعني السُّؤال... بدَّد ملامح الشُّرود.

- ممنوع الوقوف هنا منطقة عسكريَّة.

(كانت فوَّهات المدافع في وجهي... الرَّادار يمتطي ربوة عالية، يجثم فوق القلب... يتحرَّك بأزيز خفيض... يكشف المساحات المخبوءة في الصَّدر... استطردت بعد تردُّد).

- أليست حديقة السِّلسلة؟!

نظرَ إليَّ بوجه جامد... تركني دون إجابة... منقوشة ملامح الثقة في العينين... ابتسمت، سرتُ بمحاذاة الكورنيش نحو قلعة قايتباي وأبي العبَّاس... توقفت أمام الجندي المجهول... توقف ابني الصَّغير... طفقَ عمره يحبو نحو (٣) (سنوات)... كسبعين حارسًا (٧٠)... يحيطون النصب... علامات الزَّهو

تمتزج بثقة في نظراتهم... خطواتهم... بدأ الصَّغير يدفع طائرته الورقيَّة تشقّ السَّماء... شامخة في الأفق... تهزم انقضاض الرِّيح.

obeikandl.com

7

التَّرويع

obeikandl.com

obeikandl.com

التَّرويع

ساكنًا كان الليل... الشَّمس غرقت دامية... بطعنة مباغتة، في بحر حبيس الأمواج، الثواني تمرّ... تعلو أصوات الغدر... وهم آمنون... منذ أيَّام... زار الرَّجل... بلاد النيل والشَّام... وقع على مواثيق... لوَّح بيديه للشُّعوب... عبر شوارع اصطفت له، يشير إليهم... كانت راية خضراء... ترفرف... تعلو... يلفها النور... حروفها.. نقشت على ساق العرش... في جبين البراق... ومواضيع قدسيَّة عذبة في اللسان والحلق... القلب يخرّ لها في انصياع مملوء بورع... يحفه التقى والارتياح.

"لا إله إلا الله... محمَّد رسول الله" وغيرها من الأعلام الصَّغيرة والكبيرة، تنداح في المدن بألوانها المصبوغة المختلفة دائمًا...

***

مازلتُ أنظر لعقرب الثواني الذي يفرّ في جنون... ينتحر بغدر أمام مشهد العينين في تبجُّح مشتت الأفكار، لم أنم، لم ترمش عين جفنيّ، أستشعر بفرار الدّعة... من العروق... التلفاز يعرض مشهدًا لمخترع جهاز الاستشعار بالزلازل...

ومقياس "الرِّيختر" المباغت. فجأة... نزحت أتوضَّأ... حين تحرَّك عقرب الدَّقائق؛ ليغرق الليل في ظلمة موحشة استشعرها القلب الوجل، انتهيت... عدتُ للنظر إلى ساعة الحائط. خلفيَّة الزَّمن الذي يمرّ... صورة لمسجد شهير... في المدينة... عقلي يهتزّ... ترتجّ العينان... تدور في فلك الأفكار والهواجس... يتغيَّر منظر المسجد... إلى مكة... لم أقوَ على رصد عقرب الثواني... بدأ يفرّ في لا مبالاة وغرور... تتغيَّر صورة المسجد... إلى دمشق... أعرف كلّ ركن فيه...؟!!

- مسجد الـ...
- مسجد الـ... الموصل؟!
- مسجد... البصرة...!
- مسجد... بغداد.

توقف القلب... العقل... عن الارتجاج... انتحرَ في ظلمة الليل الموغل في دهاليز حبيسة، تذكرت "ابن ماجة" صَال وجال... في بحر العرب، لم يعتل وجهه قسمات التباهي... حين هزم فلول... الأمواج اللجيَّة...

ولم يغتر!

***

الدّويّ... خارج البيت... صحوتُ مفزوعًا... لم أدر أنني في الأصل... ارتخت عيناي... استسلمتُ لقبضة الليل المحكم... سارَ في دهاليز لم يشهدها من قبل... سقط في جبٍّ عميق... ابتلعه... لم ينصت لأحد... بعد البغي والترويع.

- فهمت مراوغته... زياراته والمواثيق... مهارته لم أفندها... دائرة من الغدر... جبّ عميق... ينزلق فيه الطغيان، الطاغوت.

- تذكرت سيّدنا "يونس" ماذا فعل... في سواد الليل الموغل في الظلمة، وأنين الماء والموت يقبع في بطن "الحوت".

- كيف تنفس...؟

- كيف كان طعامه؟... دثاره؟!

- أعلم ماذا قال... لكن... بغتة الابتلاع... لا أستطيع أن أستجلبها لقلبي... خاطفة تبتلع...

في لحظة موحشة... يرجف لها الجفن واللسان.

- كان دثاره... كلمات... وليله كلمات... وأيَّامه كلمات.

- يلتحف بثوان تفرّ... في فزع وترويع.

***

باغتني صوت الهاتف... ظننتُ ما قاله صديق لي مزحة، خرجت إلى الشَّوارع النائمة منذ ساعات في دعة وأمن... كانت تدوِّي... تضيء صوت البغي... تسمّرت أقدامي... تهشَّمت ساعة الحائط... تطايرت عقاربها... رشقت في القلب الدَّامي... العيون ترصد... الفرار الترويع... الصّراخات... بكاء الأطفال... لم تتحرَّك قدماي قيد أنملة... تذكّرت جأش بكّاء العرب الصِّدّيق، حين ربطَ القلب بأوردة الجراح المكلومة، وحاربَ المرتدين بلا هوادة... انهار الجميع لفراق سيّد الخلق... وصوته كان يعلو يهتف بالقرآن.

- مَن كان يعبد (محمَّدًا) ﷺ، فإنَّ محمَّدًا قد مات... ومَن يعبد الله فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى حيّ لا يموت.

من أين اغترف أبو بكر... هذا الثبات، وهو أكثر المسلمين تفيض دمعاته؟!

- ألم يستمع هؤلاء الباغون... المروِّعون بلدًا آمنة... لكلمات القرآن مواقف الصّدّيق ورفاقه.

- فرَّتْ من عيني الدَّمعات... حين تذكّرت قول النبي...

- غيّروا مسار القافلة.

قال سيّدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه:

- أتغيّر يا رسول الله مسار قافلة؛ كي لا تروع "هرَّة" قد ولدت؟!

- نعم.

لا أعرف... متى سلبت أموالي... وإلى أين ذهبت... وكم من السَّاعات والأيَّام مضت.

ولا أدري حتى تلك اللحظة... هل عدت لدياري الآمنة؟

- أعلم أنها عادتْ ترفرف أعلامها، قتلت الترويع... في نحورها، وعاشت ساعة.

لكني لا أعلم... هل مازلت أحيا بين البشر... جسدي أفصح عن مواضع سوداء... وخطوط ألوان داكنة، لكني لا أعي... متى عدت؟!

وهل عدت؟

ينتابني هاجس... يتدلى...!

ترتعش عيناي أمامه...!

كمشنقة أحكمت رقبتي...!

obeikandl.com

السِّيرة الذَّاتيَّة

-مجدي عبد النَّبي.

-عضو اتحاد كُتَّاب مصر.

_مواليد الإسكندريَّة ١٤-٩ - ١٩٥٩.

-الوظيفة/ كبير بدرجة مدير عام باتحاد الإذاعة والتّليفزيون المصريّ - إذاعة الإسكندريَّة- البرامج الثَّقافيَّة.

-الشّهادة/ ليسانس حقوق_جامعة الإسكندريَّة.

-كاتب قصَّة معتمد في الإذاعة المصريَّة منذ الثَّمانينيَّات.

-كاتب دراما معتمد من إذاعة الإسكندريَّة منذ التِّسعينيَّات.

•المجموعات القصصيَّة والرّوايات الصّادرة:

١-الرِّيح والعراء: قصص قصيرة صادرة عن وزارة الثَّقافة_مديريّة الثّقافة بالإسكندريَّة_مطبوعات القصَّة العدد (٢٤) ١٩٨٨.

٢_طيور بلا وطن: قصص قصيرة عن سلسلة إشراقات أدبيَّة العدد (١٣٤) الهيئة المصريَّة العامَّة للكُتَّاب ١٩٩٤.

٣_مرافئ التّيه: مشترك _الملتقى المصري للإبداع والتّنمية (١٩٩٨).

٤_اغتيال البحر: رواية (هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيَّة. (١٩٩٨).

٥_الحاجز: رواية الملتقى المصري للإبداع والتّنمية (١٩٩٩).

٦_حارة البحر: روايتان قصيرتان... دار الوفاء للنشر.

٧_الأمريكسوس... بورصة الكتب للنشر والتوزيع.

٨_سراديب العتمة... بورصة الكتب للنشر والتوزيع.

- **تحت الطَّبع**:

انقضاض "قصص قصيرة جدًّا".

كومة من الورق "قصص قصيرة".

حكايات الليل والصَّخب "رواية".

ملهى الأنس "رواية".

من صاحب الشّجرة "قصص أطفال".

جولات أدبيَّة وحوارات فكريَّة "مجموعة لقاءات صحفية".

الشَّاعريَّة في أدب مجدي عبد النّبي _تأليف / محجوب موسى.

- **العمل الصَّحفي**:

_رئيس تحرير نشرة هيئة الفنون والآداب.

_مدير تحرير جريدة الحياة المصريَّة عن الإسكندريَّة من عام ١٩٨٥ وحتَّى عام ٩٠.

_مدير تحرير مجلة الثَّغر الأدبيَّة.

_مشرف صحفي على صفحة الأدب بجريدة الأيَّام السّكندريَّة من عام ١٩٨٨ وحتَّى ١٩٩٠.

_سكرتير تحرير أمواج وراقودة.

_مراسل صحفي بجريدة السّياسة الكويتيَّة والهدف (الكويتيَّة) واليقظة وحوَّاء.

_مشرف أدبي في مجلّة البحيرة ومجلّة مجلتي.

obeikandl.com

• **الجمعيَّات الأدبيَّة**:

_عضو مجلس إدارة سابق بهيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيَّة بالإسكندريَّة والأمين العام المساعد.

_كاتب قصَّة معتمد منذ عام ١٩٨٨، وكاتب دراما معتمد منذ التّسعينيَّات.

_رئيس إدارة لجنة القصَّة والثَّقافة والإعلام بجماعة الأدب العربي.

_عضو ببعض المنتديات الأدبيَّة وببعض محافظات مصر.

• **المؤتمرات**:

_مؤتمر أدباء الأقاليم في مصر الخامس ١٩٩٠_أسوان.

_مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم السَّادس ١٩٩١_بور سعيد.

_مؤتمر أعلام دمياط ١٩٩٤ و١٩٩٥.

• **شهادات التَّقدير**:

- حصل على المركز الأوَّل على مستوى جمهوريّة مصر العربيَّة في مسابقة نادي القصَّة باسم/ يوسف السّباعي وزير الثَّقافة السَّابق بالقاهرة برئاسة نجيب محفوظ عن قصّة الرَّحيل عام ١٩٨٩.
- شهادات تقدير عن المسابقات الأدبيَّة عن نادي القصّة والهيئة العامَّة لقصور الثّقافة والمجلس الأعلى للثّقافة وإذاعة الإسكندريَّة والثّقافة الجماهيرية أعوام ٨٥ و٨٦ و٨٧ و١٩٩٠.
- شهادة تقدير من القناة الخامسة عن برنامج "شهادة تقدير"، إعداد وتقديم الإذاعيَّتان شاهنده حسين وسمر رفاعي.

- **النَّشر**:
  - نشر إنتاجه الأدبي والصَّحفي وكتب عنه في المجلات والجرائد الآتية:
  - البيان الكويتيَّة-الوعي الإسلامي- هنا لندن - الموقف العربي- الثَّقافة الجديدة- القصَّة – الأخبار- الجمهوريَّة - المساء- النَّهضة الكويتيَّة- هنا الإسكندريَّة- الفكر التّونسيَّة- أكتوبر - عكاظ السّعوديّة – حوَّاء- الحياة- الأيَّام- بلدي – البحيرة- مجلتي.
  - النقَّاد الذين كتبوا دراسات نقديَّة أو علّقوا في الإذاعة أو التّليفزيون على الإنتاج الأدبي:
  - د.سيد حامد النساج _ د.محمَّد زكي العشماوي _ النَّاقد عبد العال الحمامصي _ د.محمَّد مصطفى هدارة _ د.محمَّد زكريَّا عناني _ د.فوزي عيسى _ النَّاقد محمَّد محمود عبد الرَّازق _ النَّاقد عبد الله هاشم _ الكاتب محمَّد عبد المجيد _ النَّاقد أحمد عمر هاشم _ النَّاقد كمال عمارة _ الأديب محجوب موسى _ د.نبيل نوفل _ د.السّعيد الورقي.
- **الإذاعات والقصص**:
  - إذاعة الإسكندريَّة- برامج: (نادي القصَّة والمجلَّة الثَّقافيَّة ولقاء الأصدقاء وجنّة الأطفال).
  - إذاعة البرنامج العام (مع الأدباء الشبَّان) للإذاعية القديرة هدى العجيمي.

- إذاعة صوت العرب/ إذاعة الشّرق الأوسط/ إذاعة البرنامج الثّقافي (الثّاني).

• الكتب التي تناولت القصص بالنّقد:

١_كتاب نادي القصّة، تأليف النّاقد محمّد محمود عبد الرّازق.

٢_كتاب الرّؤيا الإبداعيّة (القصّة الشّعريّة في الرّيح والعراء لمجدي عبد النّبي) صادر عن دار المعرفة الجامعيّة ١٩٨٨ بقلم الدّكتور السّعيد الورقي.

٣_الثّقافة والإعلام بين الواقع والطّموح ج ٣ (الواقعيّة والفانتازيا في مجموعة طيور بلا وطن) بقلم/ محمّد محمود عبد الرّازق.

٤_فنّ معايشة القصّة القصيرة بقلم محمّد محمود عبد الرّازق، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

• البرامج الدراميّة (تمثيليّات):

١_الرّحيل - عن قصّة الرّحيل الحائزة على المركز الأوّل – إخراج: فيفيان محمود.

٢_عسكري الدّوريّة (عن قصّة عيون الليل) - تأليف/ مجدي عبد النّبي _ إخراج/ فيفيان محمود.

٣_تَمَّ تحويل قصّتي (الطّوفان، ووشم القلب المقهور) إلى رؤيا دراميّة من إعداد الكاتب محمّد أبو المعاطي، إخراج فيفيان محمود. وأذيعت بإذاعة الإسكندريّة عامي ٢٠٠٥و٢٠٠٦.

٤-برامج: حكايات السّتّ شفيقة-تأليف: مجدي عبد النّبي (برنامج اجتماعي يومي، إخراج: هنادي محمود، تمثيل: نادية أمير- إكرام- فؤاد المليجي).

٥-نادي القصَّة-تمثيل: إسماعيل محمود- مبروك عبد العزيز، إعداد درامي: مجدي عبد النَّبي، إخراج: هنادي محمود.

٦-مغامرات فشفش (أطفال).

- **المواقع**:

www.magdyabdelnaby.com
www.magdyabdelnaby.co.cc
www.magdyabdelnaby.com
http://facebook.com/magdy.abdelnaby

- **روابط لمواقع أخرى** (**مدونات**):

/http://magdyabdelnaby59.blogspot.com
http://www.syrianstory.com/a-majedi.htm
/http://magdy777.maktoobblog.com
http://middle-east-online.com/?id=62562#.TftoyoO0qoQ;facebook
http://middle-east-online.com/?id=62777#.TftpLO5u90g;facebook
http://middle-east-online.com/?id=63313#.TftpbzGr_iI;facebook

- **البريد الإلكتروني**:

magdy.abdelnaby@facebook.com
ELADEEB2010@hotmail.com
http://facebook.com/magdy.abdelnaby
magdyeladeeb@yahoo.com

مشرف سابق بموقع WWW.W-ENTER.COM